الموروث الثقافي اللامادي بالجزائر العثمانية
على ضوء المصادر الأوربية
(العادات والتقاليد - أنموذجا)

أ.درقاوي منصور*

الملخص:

لا شك أن العثمانيين أثروا في الحياة الإجتماعية و الإقتصادية للجزائريين، و لقد لمسنا هذا التأثير من خلال الكتابات الأجنبية التي وصفت محاولات العثمانيين ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي من خلال العادات والتقاليد التي جلبوها معهم من مأكل و مشرب و ملبس...

كما لا يمكن لنا أن نستثني من حيث التأثير في الحياة العامة اليومية للجزائريين الجالية الأوروبية الممثلة في اليهود و المسيحيين و لو أنها لم تكن ترتق من حيث الفاعلية ودرجة تأثير الجالية العثمانية والأندلسية، بالإضافة إلى حالة الحرب التي شاهدتها سواحلنا الجزائرية والتي جلبت معها نشاطا بحريا تجاريا وحضاريا، رغم سلبياتها إلا أنها عامل تأثير و تأثر قوي، و وسيلة إتصال و تعارف.

إن هذه المصادر الأجنبية غزيرة تستحق الإهتمام و الدراسة و التحميص، حتى و لو كُتبت بخلفية سياسية أودينية، فإنها تحمل في طياتها بعض الحقائق القيمة تاريخيا، و نذكر بعضها على سبيل المثال و لا الحصر:"تاريخ مملكة الجزائر" لصاحبه لوجي دوتاسي، أو "مذكرات القنصل لوليام شالر" أو "طبوغرافية و تاريخ الجزائر" دييقو دوهايدو و القائمة طويلة لهؤلاء الأجانب .

*-طالب دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران1، الجزائر.

هذا ما سنلمسه في طيات هذا المقال من ممارسات يومية لعادات وتقاليد وقيم إجتماعية و إقتصادية و دينية للجزائر خلال العهد العثماني.

Abstract :

Cultural heritage of the Ottoman Empire in Algeria
European sources through The centuries between 16M - 19 M
(Customs and traditions model)

There is doubt that the Ottomans influenced the social and economic life of the Algerians in a way and that attempted to link the Eastern Algerian society through the customs of different cultures represented in Christians and Jews:

In the other hand, they lived in terms of effectiveness influence of the Ottomans and Andalusys ever under stale of war, a huge activity was noticed on coasts by mean of nautical commerce and culture.

Despite the drawbacks, it affected impact of a strong factor the means of communication and dating, these foreign sources rain worthy if attention, scrutiny imposed historical values under the kingdom of Algeria to its owner "logier de Tassy", council "William Sheller, or "Diego de Haedo".

That's a short brief showing easily practices customs and traditions, economic and religious Algeria daring the Ottoman era.

مقدمة:

قبل كل شيئ يجب أن يتضح في أذهاننا مفهوم مصطلح الموروث اللامادي وفي هذا الصدد يذكر **يوسف محمد عبد الله** *. رئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات، جامعة صنعاء، باليمن " الموروث اللامادي هو ذلك الإرث الروحي والمعنوي، الذي يُبْرز هوية أفراده وانتمائهم إلى حضارة ما، قِوامه سلوك وعادات وتقاليد وقيم إجتماعية، التي تشكل بناءا خُلقيا متماسكا طويل الدوام، كبير الضغط والتأثير على الأفراد، و يكون مُقيما وراء الشعور الواعي في غالب الأحيان قَدمه السابقون من العلماء والكتاب والسياسيون، فكانوا شهودا على عصورهم ومبدعين من خلالها.

لا يمكن لنا في الواقع أن نسرد كل هذا الموروث الإنساني اللامادي للجزائر خلال العهد العثماني وإنما سنحول أن نبين بعض الومضات لمجموع العادات والتقاليد أثرت وتأثر بها الشعوب الوافدة والمحلية فيما بينها.

1. **عادات وتقاليد متعلقة بالغداء واللباس:**

1-1 المأكل والمشرب : إن عادات الغداء من مأكل ومشرب أحد مكونات العادات والتقاليد التي من خلالها معرفة أسلوب وطريقة حياة ومعيشة أي مجتمع، فقد أولى الدارسون الأجانب لواقع هذا المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني الكثير من الأهمية، وذلك من أجل فهم هذا المجتمع والتعامل معه، وفي هذا الصدد يقول وليام شالر:"... والجزَر ولحم الضأن والدجاج والسمك والحليب والزبدة وزيت الزيتون والفواكه والخضروات والكسكسى الذي يصنع من عجينة تشبه العجينة التي تصنع من المقرونة، هذه الأغذية تشكل، الغداء الرئيسي لسكان بلاد البربر، كما يمكن إعتبار الكسكسي هو الصحن القومي لمختلف الطبقات الإجتماعية بالجزائر، وهو بمثابة المقرونة في ايطاليا

والأرز في الهند، يفتل حبات صغيرة عادة في قصعة مصنوعة من الخشب، ثم يوضع في الكسكاس ويطهى بالبخار، ويقدم بالمرق والخضروات، أو يقدم بالبيض المسلوق، أو بأعشاب حلوة(...).

أما الطبقة الفقيرة فهي تكتفي تحضره بزيت الزيتون أو مدهونا بالزبدة. مع العلم أن الجزائريين لا يستهلكون إلا القليل من لحم البقر وهم قلما يذبحون بقرة، ولا يذبحون عجلا أبدا»[1]. وفي أجود الفصول التي يكثر فيها العُشب تعتمد الكثير من العائلات الجزائرية على ذبح ثور أو ثورين ويقطع لحمه ثم يجفف في الشمس، وبعد ذلك يغلى في الزيت ثم يحفظ به في أواني ويغطى مرة أخرى بالزيت أو السمن لاستهلاكه في وقت أخر...»[2].

أما فيما يتعلق بالمشروبات فيقول وليام شالر أيضا:"والقهوة هي مشروب الترف لهذا الشعب الذي لا يتناول الخمور ولايشرب سوى الماء القراح*."[3]

أما "سيمون بفايفر"فيتحدث في مذكراته على المطبخ الجزائري أو العربي كما سماه، فيقول:" (...) يقدم مطبخ العربي الفطائر (بعد أن تحدث عن الكسكسى) الذي يهيأ من حليب وطحين وبيض وزبدة ويطبخ مثلما هو أن عندنا، كما يقدم كذلك التمر وبيض الدجاج أو النعام بالزبدة والماء ويخلط لتصنع منه فطائر لذيذة الطعم، إضافة إلى لحم الخروف المشوي أو المحمر تحت التُراب، حيث أنهم يحفرون حفرة في الأرض عمقها أربعة أقدام وعرضها أربعة أقدام أيضا ويضعون في الحفرة أعدادا من الحجارة ثم يملؤنا بالحطب، وعندما يحترق الحطب ويصبح جمرا يضعون فيها لحم الخروف، ويغطونه بالحجارة الحارة من جميع النواحي، ويضعون فوقها سحق النخيل، فيغطون الحفرة مرة أخرى بالتراب، ويتركونه لعدة ساعات إلى أن يلاحظوا

بأنفهم الحساسة من خلال البخار المتصاعد أن اللحم قد استوي، وإن هذا اللحم المحمر للغاية معد ولذيذ جدا"[4].

من عادات العثمانيين المتعلقة بالغداء، فهم يتناولونه في غرف جميلة، على موائد ذات ثمانية أرجل مصنوعة من أرفع أنواع الخشب توضع عليها السفرة هذه الأخيرة عبارة عن صينية كبيرة مصنوعة من النحاس المقصدر، ويوضع عليها الطعام، وبذلا من الجلوس على المقاعد، يثيرون الجلوس مربعين على السجاد لتناول غدائهم ، كان الخبز يكسر قطعا صغيرة ويوضع أمام كل واحد من الضيوف مع ملعقة، وتختلف المأكولات من شرائح اللحم الماشية، أو طيور، كما يقدم الأكل ناضجايسهل تقطيعه، ومن ثم لا يحتاج الجزائريين إلى إستعمال السكاكين والفرش للأكل (...)، أما عن كيفية تقديم الطعام للضيوف، أولا تجهز كل طلبات الحضومن طرف الطباخين، ويقوم خادم مسيحي بوضع الصحون الواحد تلوى الآخر أمام كل ضيف وينتظر الجميع حتى يبدأ صاحب الدار في الأكل، بعد أن يضع كل واحد من الضيوف طعامه في صحنه بملعقة كبيرة، يبدأ أكلهم بالشربة (الحساء)، ويعقبه اللحم المحمر، ثم السمك إن أمكن ذلك، ويأتي"الكسكسي"الذي هو الصحن الرئيسي في الأخير، وبه تُخْتَمُ المائدة، وبعده تنظف المائدة، يوضع عليها صحن الفاكهة.

كما تتناول الشربة بملاعق الكثيرة التي هي مصنوعة من ترس السلحفاة، ويدها من العاج مزينة بالعبر، والمرجان، أما الملاعق الصغيرة فهي مصنوعة من نفس المادة أو مادة الخشب الثمين وتزين وتزخرف حسب ثروة مالكها... وهي تجلب من الشرق وتقدم كهدايا أو بضائع للتجارة. وعندما ينتهي رب المنزل من الطعام والشرب يتوقف الأخريين ويتمنى الجميع له الجميع الصحة الطيبة بقولهم: "صحة عليك" فيشكر الله ثلاث مرات، فينهض من

مقعده، حيث يقف معه جميع الضيوف ويتجهون نحو المغسل لغسل أيديهم(...)[5].

بالنسبة لباقية العامة في المدن لا يوجد فوارق كبيرة في عادات الطعام بين الأفراد إلا إذا إستثنينا الطبقة الفقيرة، حيث يشاهد الكثيرون منهم جالسين في الشارع يأكلون الكسكسى بأيديهم في السّلطانية[6]الصغيرة لا يستعملون الملعقة أبدا وهم في حالة يرثى لها من الوساخة(...)، أما اليهود فَلِبُخْلِهِمُ متى دعوا إلى بيت كبير فهم يأكلون بشراهة(...) و في العادة يبررون هذه الشراهة بجودة الطعام، ثم يمدحون المضيف قائلين أنه لم يكن ليدعوهم إلى مائدته لو لم يكن راضيا عنهم [7].

ومن أنواع المأكولات التي جلبها العثمانيين معهم، البقلاوة عبارة عن حلوة تركية الأصل، مخلوطة باللوز والزبيب،دسمة جدا، زيتية ومشربة بالعسل[8] أما في مجال المشروبات فالكتب التي إطلعنا عليها تجمع على عدم إنتشار شرب الخمر بين الجزائريين كعادة من عادات الشرب، في حين عرف المجتمع الجزائري مشروب الشاي والقهوة مع العلم أن عادات المأكل و المشرب لازالت قائمة عندنا إلى يومنا الحاضر بالجزائر

2-1 اللباس: هو عنوان الذوق والأناقة عند الناس، وصورة لشخصية صاحبه، لذلك أولى الأجانب الذين تواجدوا بالجزائر خلال العهد العثماني أهمية كبيرة لدراسة ألبسة الطوائف الاجتماعية في الجزائر، فوصفوا مختلف الألبسة الخاصة بالأتراك العثمانيين والكراغلة، والعرب واليهود والنساء، حيث يذكر شالر (Shaler) أن اللباس العثماني يتألف من عدة قطع، بعضها بالأكمام والبعض الأخر بدون أكمام، مفتوحة في الصدر ومزينة بأزرار وزخارف . وبعد ذلك تأتي السراويل فضفاضة تنزل حتى ركبة الساق وكثر ما يلبس الرجال حزاما يلفه عدة مرات حول وسطه ويعلق عليه خنجر أو

مسدس، ويضع في طياته أيضا ساعته ومحفظة نقوده ، أما عن لباس الرأس هي العمامة والرجلين البلغة، والجوارب فلا يلبسها إلاّ الشيوخ وفي حالة البرد فقط ، كما يختلف نوع اللباس حسب طبقات الناس و ثروتهم، و الفصول الأربعة،[9] وعليه نسّرد بعض أنواع ألبسة سكان الجزائر العثمانية:

1-2-1 لباس الأتراك العثمانيين وهندام نسائهم:يذكر"دانتي"(D'anti) أن لباس الأتراك العثمانيين بالجزائر يشبه لباس الأتراك بإسطنبول[10]،ويصف"لوجي دوتاسي" (Laugier de Tassy) لباس الأتراك العثمانيين بالبساطة وتميزعن العرب والأمازغيين، حيث لباس الداي والموظفين الساميين الرئيسيين هي عبارة عن قمصان بأكمام طويلة وسراويل صوفية طويلة أيضا وغير خشنة، أو قطنية بيضاء[11]، كما يعبر عنه"وليام سبنسر"(William Spenser) أن الرجل التركي يرتدي البرنوس وهو ثوب فضفاض، عريض متصل بجوانبه بأكمام و**قَلَنْسُوةٌ**[12] أحيانا، كما يضاف إليه ألبسة تحتية مهذبة. ويلبس ذوي الاعتبار من الرجال **بدعيتي**[13] **أو** ثلاث بدعيات مفتوحة عند الرقبة تزركشها الأزرار أو **اَلْقْطِيفَةُ**[14]، وتكون مطرزة بخيوط ذهبية أو فضية، ويلبسون كذلك سروالا مطرزا عريضا وفضفاضا، وتلتئم خياطة السراويل بواسطة تطريز حريري واسع يُلصق به سيفه وخنجره ومسدسه، وعند نهايته يخبئ حاصلة نقوده من الحرير والساعته. قد كان هذا اللباس مميز، حيث عُرف هذا الطرز لذي مسافري البحر المتوسط بالطراز الجزائري[15].

لباس نساء الأتراك العثمانيين فقد وصفه"وليام سبنسر": " المتزوجات منهن يلبسن الفَرَمْلَةُ بشكل واسع: وهي اللباس ذو الحزام والمفتوحة عند الصدر، مع معطف أو أكثر بأكمام قصيرة معه إلى جانب ألبسة داخلية تدلى عليها السراويل مطلوقة عندما يكن في المنزل، ولما يخرجن للحياة العامة فإنهن

يضعن توبا مزركشا من ثلاثة طبقات طولا يصل الركبة،ويتحزمن بشاش مزركش عريض، ثم تأتي سراويل عريضة (...) وفوق الكل يأتي الحايك الأبيض ويتحجبن حتى عيونهن بقطعة قماش شفافة بيضاء»[16]، أما شالر فيصف لباس المرأة قائلا:"ولباس النساء العربيات بقدر ما أمكنني ملاحظته يتكون قميص صغير يضع عند نساء الطبقة الغنية من أرفع المواد وأفخرها، ثم سروال ينزل إلى العَقِبَيْنْ وثوب من حرير أو مادة أخرى ويكون غنيا بالتطريز(...) وتلبس المرأة الجزائرية حداء ولكن بدون جوارب. أما ما يخص الزينة فيقول أيضا « والمرأة الجزائرية تعتني عناية خاصة بشعرها، وكثيرا ما يصل شعرها إلى الأرض، والمرأة الجزائرية لا تقتنع بالجمال الذي وهبتها الطبيعة لشعرها ولحواجبها، فهي تعمل على صبغها بالأسود كما تصبغ بطلاء خاص أظافر أصابع أيديهن ، وكذلك يصبغن بالحناء أكفهن و أقدمهن ».[17]

1-2-2 لباس الكراغلة : ملابس الكراغلة هي عادة مزّينة بالذهب أو الفضّة ومن الحرير، طبقا لغرور الشخص وثروته، أما شكل العمامة وثناياها و نوع مادة التي صنعت منه هي مقياس الذي يحكم الناس بقيمة الرجل الذي يلبسها، وفوق جميع ملابسه يلبس الرجل الكرغلي برنسا يحمله على كتفه ويغطي به كل جسمه[18]. حيث يرى"سبنسر" أن كل الجزائريين من غير الأتراك، بإستثناء اليهود، كان لباساهم بسيطا[19]، ولعل إعتناء الكراغلة بهندامهم تقليد ورثوه من آبائهم الأتراك، أما "روزيت" (Rozet) فقد وصف لباس الكراغلة "بأنه لا يختلف عن لباس الأندلسيين، وإن كان هندامهم أكثر أناقة ، وملابسهم أكثر نظافة من هندام الأندلسي، فهم متأثرون بالنمط الآسيوي»[20].

1-2-3 لباس اليهود ونسائهم: حسب ما أطلعنا عليه قد أجمعت المصادر الأجنبية أن لباس اليهودي كان يتسم باللون الأسود من الرأس إلى

القدمين، ويشير "كورين شوفاليه" (Kôrin Chevalier) " أن اليهود أجبروا على إرتداء هذا النوع من اللباس، ليخالف عن اللباس الذي يرتده بقية الجزائريين، كما أنهم يزدحمون في حارات خاصة بهم ذات كثافة سكانية عالية*"[21]، يذكر" لوجي دوتاسي" (Laugier de Tassy): "أن لباس اليهود كان عبارة عن عباءة طويلة تصل إلى منتصف الساقين، وعمامة سوداء تلفها عصابة بلون قاتم ذات خيوط، كل ذلك للتمييز بينهم وبين الأجناس الأخرى الإسلامية والمسيحية، أما المرأة اليهودية فتلبس مثل المرأة المسلمة بالمدن وتخرج إلى الشارع بدون قناع، حيث يبقى وجهها ظاهرا قصد التميز بينها وبين المرأة المسلمة التي تحمل قناعا (الخمار)ولا يظهر منها سوى عيناها"[22].

كما ذكرنا سالفا، يقول "سبنسر"(Spenser) في وصف لباس اليهودي:" يلبس اليهودي جبّة ومعطفا ذا أكمام عريضة، لا تمنع من غسل الأطراف العليا ويحمل خناجر كبيرة جميلة في جراب على الجانب الأيسر. في الشتاء يلبسون سراويل تضيق عند أدنى الركبة كما يفعل الإسبانيون"[23]،لم تختلف المرأة اليهودية في حياتها اليومية على العموم عن المرأة المسلمة، تعيش في البيت أساسا في جوّ محافظ لكنه أقل محافظة منه لذا المرأة المسلمة، كما أنها تتمتع بحرية نسبية في الحركة خارج البيت [24].

أما في البادية كانت المرأة اليهودية تلبس حايك تحته قميص وسروال، وقد تحول القسم الأعلى من الحايك إلى شكل من كيس،والغرض منه حمل أولادهم الصغار، وتغطي رأسها بقطعة من القماش قد تتخللها خيوط ذهبية وفضية، كما تلبس معها قطعة مُثلثة من القماش زركشت ولونت بِتَفَنُنٍ كبير، تدلت هذه القطعة من القماش علي الظهر[25].

نساء المدن يَمِلْنَ إلى الأناقة، متأثرات بالأسلوب التركي، والمرأة الجزائرية شديدة الرغبة في الروائح والأطرزة المزركشة والتركيبات العطرية، أما حواجبهن كانت تُنزّع بشدة(تلقيطها) ويوضع عليها الكحل،وتقويسها على شكل هلال، أما نهاية الأظافر والأصابع وبواطن الأقدام كان يتم ترطيبها بالحناء، كما هناك علامة أخرى تُثنى عليها النساء بشدة وهي "عيون الغزال" أي عُيوهن تتميز بالإتساع والصفاء والخضرة، فإذا كانت عيون سيدة لا تفي بالشروط فَيُغَلَى الجوز ويجفف ثم يهرس ليصير دقيقا ثم يمزج في الماء ليشكل معجونا سائلا فيوضع على جوانب العين، والخبايا السفلى للأشفار، وتكتمل عملية التجميل هذه بوضع في الأخير الحُرَّةُ حمر الشفاه و التدابير المكملة له [26]، ويبدو أن المقام المشترك في اللباس بين النساء الجزائريات هو الحجاب، حسب ما ذهب إليه "سبنسر"(Spenser) حيث يقول :«إن الحجاب كان على ما يبدو قليل الإستعمال في معظم جهات شمال إفريقيا في السنوات الأولى لقيام الأيالة [27]، قد أصبح لباسا خارجيا ضروريا في سنة 1780م ، وقد كان على نوعين: الصغير بنصف الوجه(قناع) والآخر قطعة اللباس المزركشة التي تتم خياطتها ملتصقة بالحايك»[28]، أما الفتاة الغير متزوجة تتميز هي الأخرى بلباسها عندما تخرج إلى الشارع، حيث ترتدي سروالا متعدد الألوان أو ثوب متعدد الألوان، حيث يغطيه الحايك من نوع تقتضيه الظروف، وعند سفر المرأة الجزائرية إلى الخارج فترتدي حايك أبيض يغطي جسمها كله من الرأس إلى العقب، مع العلم أن نساء الطبقة الراقية لا يخرجن إلا قليلا أو قل أنهن لا يخرجن إطلاقا[29].

2. <u>عادات وتقاليد متعلقة بالحياة الدينية والاحتفالات:</u>

المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني كان زاخرا بالعديد من المناسبات الدينية والشعوبية التي تخللها عادات وتقاليد رَسَّمت معالم

مجتمع، كما ورث تلك العادات وحافظ عليها ليرثها من هم خلفه، مع وجود عناصر التأثير بالوافدين العثمانيين وغيرهم.

2-1 الحياة الدينية:

كان المذهب المالكي هو المذهب الوحيد في مدينة الجزائر قبل تأسيس خير الدين عهد الوصاية، و نتيجة لسيادة الدولة العثمانية فقد عملت على نشر المذهب الحنفي، لكن دون فرضه على سكان المدينة، وبما أن أسيّاد مدينة الجزائر لم تكن لهم إنشغالات دينية فهم لم يبذلوا أي جهد لتطوير الأعمال الثقافية [30]، مع ذلك عرفت الزوايا والمساجد الصغيرة تنوعا في المذاهب، خلافا عن المسيحيين الذين كانوا في نفس العهد يشنون حروبا ضدّ بعضهم البعض بإسم السلفية (الأورثودوكسية) [31]، وعليه فإن جميع الفرق (الإسلامية) كانت مرتاحة مع بعضها البعض(...)[32].

لليهود يذكر"ها يدو"(Haedo) أنه كان لهم أماكن للعبادة، وأن الدولة تركت لهم حرية ممارسة دينهم بكل هدوء، و بالنسبة للمسحيين فقد عاملتهم الحكومة بنفس ما عاملت به اليهود، ومن ثم بناء كنائس خاصة لهم داخل سجون، والتي يقام فيها القُداس طول العام وفي أيام الأعياد والإحتفالات،[33] ويضيف كورين شوفاليه (Chevalier Kôrin)على لسان "سيرفانتس "(Servantes) « هناك شيء يحيرني كثيرا وهو أن هؤلاء (الكلاب) العثمانيون الخونة تركونا نمارس ديننا»[34]، وبالتالي يعترف هذا الأسير ضمنيا بحرية ممارسة الأديان في الإسلام، وإلا كيف نفسر هذا التسامح في عصر قل فيه الحلم والتّسامح والتساهل من طرف شعوب أخرى أوربية في إحترام أسرانا بأوروبا ؟. إن الجزائر العثمانية عرفت التسامح الديني الذي إستغرب له حتى الأجانب نظرا للروح العدائية السائدة آنذاك، ولعل مرجع هذا التسامح يعود

إلى الدين الإسلامي الذي يحترم العقائد والأديان جميعها، في إطار سياسة العثمانيين الدينية في الجزائر، إلا أن بعض نفى أن تكون لهم سياسة دينية محددة، وأكدوا أن همهم الوحيد هو القرصنة، ونهب الأموال والتسلط العسكري، ولم يكونوا حسب هذا الرأي مسلمين عن عقيدة راسخة، بل إن إسلامهم كان رقيقا فاترا، ولذلك لم يعطوا أهمية للدين ونشر الثقافة، والإهتمام بالدين لا يكون إلا إذا كانت له عواقب على الحكم والأمن.

في الوقت نفسه انتهج العثمانيون سياسة خاصة مع الطرق الصوفية وحاولوا في بعض الأحيان التقرب والتفاهم مع مرابطهم، وفي أحيان أخرى وقفوا منهم موقف حياد، فهناك من يرى هذه العلاقات من زاوية أخرى، أن العثمانيين عندما جاؤوا إلى الجزائر كانت الطريقة الشاذلية والقادرية سائدتين فيها، فما كان عليهم سوى التقرب إلى مشايخها لإكتساب تعاطف أنصارها كتَقَّرُبِهِمْ إلى"أحمد بن يوسف الملياني" الذي كان من أبرز المتصوفة للطريقة الشاذلية(...) إستمر هذا التحالف إلى غاية ِتغيرت هذه النظرة ابتداء من القرن 12 هـِ الموافق لِـ 18م، بسبب تغير ميزان القوة و نقص الموارد البحرية، فرض الحكام العثمانيين على الأهالي ضرائب جديدة بما فيهم المتصوفة، نتج عنه تحول إقتصادي، مما أدى إلى تحول العلاقات الدينية والسياسية بين الطرفين وبداية ظهور إنتفاضات أو ما سميت ثورات الريف (كالثورة الدرقاوية)، وفي المدن ظل العلماء والمرابطون على تحالفهم مع العثمانيين طالما أن هؤلاء يضمنون لهم العيش الرغد، والتعويضات المالية [35].

هذا وقد عرفت الجزائر العثمانية إنتشارا واسعا في الزوايا والطرق الدينية التي طبعت الحياة الروحية آنذاك ومن أهمها: الطريقة الثعالبية، الرحمانية، التجانية، إلى جانب الطريقة القادرية الشاذلية التي كانت أكثر إنتشارا والتي وجدت تأييدا خاصة من العثمانيين في الجزائر، لكن بدأ يشوبها

في العهد الأخير بعض الشك وعدم الإطمئنان، ويظهر ذلك من معاملة الأتراك لشيوخ القادرية في زاوية القطنه في أوائل القرن 13هـ / 19م[36].

نستخلص من كل هذا أن الحياة الدينية في عهد الجزائر العثمانية تميزت بالبساطة، والتمتع بالحرية الواسعة، والدليل على ذلك أن جميع الطوائف الدينية بالجزائر كانت تمارس شعائرها وطقوسها بكل حرية بدءْ من الأسر المسيحيين كما شهد سيرفانتس (Servantes).

و إنتهاء بالدراويش الذين كان يختارهم الدايات كالحاج أحمد باي قسنطينة بشهادة "فندلين شلوصر"(Fendelin Chloser) قائلا:" الواقع أن اَلْدِينُ هو القوة الروحية الوحيدة، التي تتمثل في المرابط والتي تحد بالتالي من حب المسلم للسيطرة "[37].

2-2 المناسبات الدينية والإحتفالات: تعددت المناسبات الدينية والاحتفالات في عهد الدولة العثمانية بالجزائر،والتي إطلعنا عليها كانت من **كتابات الأجانب***، نجدها تتكرر من مصدر إلى أخر نذكر منها ما يلي:

2-2-1 إحتفالات شهر رمضان الكريم: إن شهر رمضان له نكهته الخاصة عند المسلمين حيث يروي العديد من الرحالة الأجانب عن عادات وتقاليد هذا الشهر، فكيف كان يقضي سكان الزائر لياليهم الرمضانية ؟ يروي المرحوم أبو العيد دودو عن الرحالة الألماني "موريتس فاغنر" Vagner (Mouritus) قائلا:« إن الإعلان عن بدء شهر الصيام يتم إطلاق مائة طلقة، من مدفع كبير أقيم في الميناء، وبعد الطلقات توقد مصابيح كثيرة فوق منارات المساجد تضيء الهلال الذي يتوج رؤوسها، ويقف المؤذن بثيابه الجميلة وسط أضواء المصابيح، ويرفع العلم الأبيض، ثم يدعوا المؤمنين إلى الصلاة، وليس هناك مسلم راشّد لا يسرع إلى تلبية النداء، فلا شيخوخة ولا ثروة تحول بينه

وبين المُضّي إلى بيت الله، وكانت المساجد دائما مملوءة بالمصلين وعددها تسعة وثلاثون مسجدا بمدينة الجزائر.» 38.

وفي موضع أخر يقول" فاغنر"(Vagner):« إن طعام الصائمين في الليل الكسكسى بالزيت، يضاف إليه اللحم المقلي و الفواكه، وبعد الإفطار ينصرفون إلى إستماع الموسيقى طيلة شهر رمضان، ويستمتعون بمشاهدة الرقص والعروض الهزلية المتنوعة كعروض القرقوز39والتي تقام في المقاهي.» أعتقد أن "فاغنر" بالغ في هذا الوصف بل الكثيرمن الجزائريين ينصرفون الى صلاة التراويح و ذهابهم الى المقاهي يكون في ما بعد، حيث يذكر الرحالة هايرينش(Harnache):« إن شهر رمضان من كل سنة هو شهر الحلويات والضيافة والأفراح عند الجزائريين، لكن الحفلات الوحيدة الصاخبة التي نقلها الأتراك إلى الجزائر، والتي تقام في هذا الشهر وهي حفلات **القرقوز** التركي*، (...) وكان يتم ذلك بعد الإفطار»[40]

ومن عادات شهر رمضان أيضا ختم صحيح البخاري في المساجد مع إضاءة الشموع فيها وفي غيرها. ولكن مايميز هذا الشهر خلافا عن الشهور السنة الأخرى الحركية ليلا بحيث في بقية الشهور لا أحد يخرج من داره من غروب الشمس إلى شروقها أم في ليالي رمضان فالجميع يخروجون ويسهرون حتى النّساء اللائي كن يخرجن ساهرات متخذات من الليل حجابا، ومن الواضح أن المرأة لا تخرج وحدها في هذه المناسبة.

بالإضافة إلى مرح القرقوزأو ما يطلق عليها (خيال الظل)، كانت هناك أيضا حلقات إنشاد الشعرالشعبي، حيث يقوم المداحون بقص السّير والأخبار والمغامرات الأبطال والفرسان، وقد شاع في الجزائر عندئذ شرب القهوة بكثير وتدخين السبسي، والغليون،(...) وغير ذلك [41]

أما "ديماس" (Daumas) فيصف عادات الجزائريين في صوم شهر رمضان من السحور إلى الإفطار، وكيفية إقامة شعائر هذا الشهر من دعاء، والصلاة عند الإفطار، وكفارة الصيام عند من لا يقدر عليه، وخاصة إذا كان في موسم الحرّ، أو عند المريض، أو الشيخ، كما يذكر"ديماس" على أن الجزائريين حريصين على تناول التّمر عند الإفطار بالإضافة إلى كميات كبيرة من الماء [42]

2-2-2 العادات والتقاليد في إحتفالات عيد الفطر والأضحى: الأعياد الدينية من المناسبات التي كان يحبها الجزائريون ويعطون لها صبغة إحتفالية محلية، تخضع لعادات وتقاليد متوارثة مع تأثر بالعثمانيين الذين أضفوا عليها بعض العادات الشرقية، يذكر الرحالة "هاينريش" (Harnache) في مذكراته أن المسلمين على إختلاف أجناسهم بالمدينة يقومون احتفال بعيد الفطر مباشرة بعد إتمام شهر الصيام وتتجلى أشكال الاحتفال في إرتداء المسلم الساكن بالمدينة أجمل ثيابه، عكس الريفي الذي لا يأبه بالثياب الجديدة، يسمى العيد عند الجزائريين" بالعيد الصغير" أي عيد الأطفال، في هذا اليوم تقدم الهدايا للأطفال وغالبا ما تكون في شكل نقود[43] ويرتدي الأهالي في أيام العيد الثلاثة أجمل ما لديهم من ألبسة، وخاصة الأطفال الدين يرتدون في أيام عيد الفطر ثياب مطرزة بالذهب والفضة والسراويل المصنوعة من الصوف أو القطن، مما يجعل منظرهم في منتهى الروعة، أما النساء والفتيات محجبات، إن عددهن في الشوارع والميادين العامة لا يقل عن عدد الرجال، وهن يكتفين بالنظر والتسلية (...)، وفي باب الواد ميدان فسيح يقوم فيه تركي عجوز بإدارة عجلة كبيرة وفوقها عدد من الأطفال، يمرحون ويضحكون، أما أبناء الأغنياء يجلسون في عربات يقودها الزنوج أو البسكريون[44]، يسمي الأتراك عيد الفطر"بقربان بيرام"وعيد الأضحى يعرف عندهم "عيد القربان بيرامي" كما

توجه الدعوة في هذا العيد إلى قناصل الدول ليشاركوا في الإحتفالات، ولكن ليس بصفتهم ممثلين دولهم، وإنما لكي يقدموا تحياتهم إلى الداي و الثناء على قوته وعظمته[45].

إحتفالات عيد الأضحى هي أيضا تبدأ من انطلاق نيران البنادق بكثرة عند بزوغ الفجر وحتى عند قيام صلاة العيد، حيث تفتح أبواب قصر الداي على مصارعها للعامة، ويقدم الكسكسى المطبوخ لكل الحاضرين ويستعد الداي إستقبال تهاني وهدايا أعضاء الحكومة وممثلي الحكومات الأجنبية المقيمين في الجزائر، ثم يقود وجهاء المدينة وأجواقها وسكانها إلى" **جامع اَلْحَوَّتِينْ**"*، حيث يقع ذبح الأضحى تحت طلق البنادق، والموسيقى العسكرية.[6]

يذكر كاثكارت أنه كان يُسمح للعبيد بالخروج إلى المدينة بمناسبة عيد الأضحى، كما تقام الاحتفال أيضا بالعيد في القصر، بالمآدب والموسيقى والمباريات المصارعة، ويرفع العلم التركي صباح الأول من العيد(...) مع إطلاق المدافع[47].

شلوصر(Chloser) يصف إحتفالات الجزائريين بشكل عام في بيلك الشرق بأن الأعياد أيام مباركة، ومنها يوم الجمعة فيقول: « وللمسلمين مِثلنا يوم مبارك في الأسبوع هو يوم الجمعة يسمونه"نهار الجمعة"ولكني لم أجد فرقا بينه وبين الأيام الأخرى حسب قوله، فالناس يذهبون كالعادة لأداء الصلاة، ويمارسون أعمالهم(...). وفي يوم عيد الصغير تعم الفرحة ويُنظم الباي ليلة العيد حفلة عشاء تعزف خلالها الموسيقى، وصباح يوم العيد يخرج الى الرحبة خارج المدينة و يجلس فوق قحدة (السُّدة)، في الوقت نفسه يبدأ سباق الخيل الذي تصاحبه أنغام الموسيقى، فيمر كل قائد مع فرقته أمام الباي، ويطلقون النار كلهم(...)، أما الأطفال تقام لهم أراجيح و خيام يتناولون

فيها عصير الليمون والبرتقال مجانا، وتستمر التسلية حتى الثانية عشر، ويعود بعدها الباي إلى المدينة ويتناول كل واحد طعامه ببيته، كما يصدر الباي عادة العفو عن الأسرى الذين يشفع لهم (...)، أما في عيد الكبير يَذّبح رب العائلة خروفا يؤكل من لحمه مدة ثلاثة أيام بكاملها »[48].

إلى جانب إحتفالات العيدين، هناك مناسبات دينية وإجتماعية أخرى يُحتفل بها في الجزائر العثمانية، كحفلات الخّتان والولادة، يذكر فاغنر(Vagner) عن هذا النوع من الحفلات إذ يقول أنها تشبه الحفلات الأخرى تماما، حيث لا يختن الأطفال إلا في سن الرابعة ، أما الرجل الذي يقوم بهذه العملية رجل يدعى "البتار" ، حيث يستلم من الأثرياء هدية الختان لا يزيد عن ثمانية "**بوجو**"*، أما الفقراء في المدينة فإنهم يختن أولادهم مجانا. كما يتم خّتن أبناء البادية على يد المرابط، فالخّتان بالنسبة للعرب الريف هو حفل ديني أكثر منه دنيوي[49]

وصف الحاج " أحمد الشريف الزهار" في مذكراته حفل ختان وَلَدَيْ مصطفى باشا سنة 1797م ، حيث نظم مهرجانا كبيرا، استقدم البايات والأعيان ودعي جميع السكان، حيث فضعف عدد الطباخين، وأطعم الناس ثلاثة مرات في اليوم ، وضُربت المدافع من جميع الحصون[50].

احتفالات المولد النبوي الشريف يذكر شلوصر(Chloser):« المولد النبوي عيد كبير بالنسبة للأطفال، فالمدارس كلها مزينة بالأعلام والأزهار ويقف التلاميذ أمامها (...) ينتظرون هدية العيد من كل مار، فيدفع لهم النفوذ هدية،(...)، كما يعترضون طريق المارة ويرشون وجوههم بالماء المعطر، وينتظرون منهم أيضا أن يقدموا لهم هدية»[51]

من خلال ما إطلعنا عليه من كتابات أجنبية يمكن القول أن هؤلاء الرحالة الأجانب لم يفرقوا بين الشعائر الدينية وممارسة العادات، حيث صنفوا هذه الأخيرة طبقا للمزّاج أو العُرف الإجتماعي، هذا ما نلمسه جليا في دراسة (Daumas Eugène) لعادات وتقاليد الجزائريين، حيث يصف الوضوء والصلاة بأنها عادات دينية، والصوم أنه ضرب من الجوع، نفس هذه الخلفية نجدها في كتابات(Tidina) و (Chaler) وغيرهم، ما يفسر أن هؤلاء الأجانب حكمهم على هذه الممارست كان من الجانب المادي فقط وليس من الجانب العقائدي لأنهم مسيحيين، غرباء عن الإسلام، لذاك نظرتهم كانت ضيقة، ومن زاوية ضعيفة عن معرفة حقيقة هذه الشعائر الدينية.

3. المرأة وتقاليد الزواج في المجتمع الجزائر العثمانية:

نظرا لطبيعة النظام الذكوري الذي مارسه العثمانيون في الجزائر فإن المرأة تأثرت به، و بشكل مباشر، وانعكس عليها من خلال عدم مشاركتها في الحياة العامة عموما، فأصبحت تمثل الجانب المنزلي فقط، حيث يقول (Spenser)« كن قعيدات الكانون اللواتي تدافع عنهن الأسلحة والسفن الجزائرية»[52]، غير أن هناك آراء أخرى تعاكس وجهة النظر هذه، وترى أن المرأة لعبت دورا هاما في المجتمع الجزائر العثمانية، فالمرأة المدنية تاجرت بعدة طرق منها تأجير البحارة الدين يقومون لها بالحصول على الغنائم وبيعها في الأسواق، أما المرأة الريفية هي الأخرى كانت تقوم بأعمال التي هي غالبا من اختصاص الرجال، تعمل في الفلاحة ورعي الحيوانات، كما كانت الأسرة تنتج الملابس من برانيس ومناديل، بالإضافة إلى نسيج الزرابي والحياكة[53].

ويذهب "دوتاسي"(Laugier de Tassy)إلى أن المرأة وإنْ لم تكن تشترك في صناعة السياسة العامة للبلاد، إلا أنها كثيرا ما تدخلت في توجيه قرارات والتأثير على أزواجهن في إتخاد مواقف معينة، وأول ما نلاحظه في هذا الميدان

الـزواج السياسـي الـذي كـان يـتم بـين زعمـاء الأتـراك، الكراغلـة وزعمـاء الجزائريين من أصحاب النفوذ والسلطان[54]، يذكر الزّهار أن زوجة "بابا حسن باشا" هي التي أثرت عليه في إطلاق سراح الفرنسيين الأسرى عند ضرب هؤلاء لمدينة الجزائر سنة 1688م، مما جعل الأوجاق يثورون عليه ويذبحونه، كما كانت المرأة هي الأخرى وراء مقتل "صالح باي"[55].

شاركت المرأة الرجل في الخدمات الدينية، الإجتماعية والخيرية من خلال إجراء الأوقاف، كما مارست بعض المهن والحرف، خاصة الخياطة والحلاقة والغناء، وكانت الخياطة تتم في المنزل[56]، في الوقت الذي يُقِّرفيه "هايدو"(Haedo) بوجود ورشات عمومية للنسيج في مدينة الجزائر يعمل فيها النساء[57].

عادات الجزائريين المتعلقة بالزواج والأعراس، يذكر" فاغنر"(Vagner) بأنه حضر أعراس الحضر في الجزائر مرتين، وحضر وبعدها عرس تركي في عنابه وعرس أخر كرغلي في مستغانم، بحيث يصف هذه الحفلات بأنها كلها متشابهة، فبعد أن يعود الرجال من عند المفتي وإبرام عقد الزواج يتوجهون بمجرد غروب الشمس إلى منزل العروس، تصاحبهم الموسيقى والفوانيس الكبيرة، فيصاحبون العروس بلباسها الفخم في طريق العودة الى بيت العريس، برفقة العرائس من الطبقة الراقية، فيقطعن المسافة على ظهور البغال في ما يشبه القفص (الهودج) [58].

وعن دور المرأة في التخطيط للزواج وعقده ، فإن النساء يلتقين في زيارات متبادلة للبيوت أو في حمامات عمومية التي يترددن عليها النساء كثيرا، ويستغرق اللقاء عدة ساعات متوالية في الحديث الممتع، من بينها أحاديث الزواج والشباب والشابات[59]، يذكر "سبنسر"(Spenser) أن هناك وسيط في

العادة للزواج بين الشاب والشابة وأنه عادة ما يتم على يد امرأة متقدمة في السّن، تربطها علاقة قرابة أو صداقة بين عائلة العريس وعائلة العروس، وعن تحضيرات الزواج يضيف سبنسر قائلا:« وفتيات الجزائر كن يبلغن سن النضج، عند إثنى عشر وثلاثة عشر سنة ونظرا للسرية العامة المتعلقة بالأنثى فإن المتوسطات كن تقمن بعمل ذي قيمة، وربما يذهبن من بيت إلى بيت آخر في مهمات للعائلات اللائي لهن أولاد في سن الزواج، ويستعلمن عن وجود نساء قابلات للزواج(...)»[60]، ويشير أبضا في نفس السّياق إن حفلات الزواج كانت تختلف حسب الظروف المالية للعائلات، وحسب المجموعة الاجتماعية المعينة، وربما كما هو متوقع حسب التنوع المدني والريفي،[61].

وبالنسبة لتعدد الزّيجات ذكر "شالر"(Chaler) أن أغلب الرجال المسلمين يكتفون بزوجة واحدة تلحق بها عدد من الأبناء، والقليل منهم ما يعيدون الزواج[62].

وعن تحضيرات الزواج في المدينة يروي سبنسر قائلا:« يتجول الزوج بضعة أيام قبل الحفل في نواحي المدينة على أصوات الطبول والمزامير(...)، وفي يوم الزواج يقوم بجولة أخرى مرتديا جلبابا أحمر وبجانبه سيف رفيع كما يوجد خمار ملقى على وجهه للحيلولة دون تأثير عين الشيطان عليه ، وخلال الثلاثة أيام التي تجري فيها الاحتفال يُؤخذ العريس إلى الحمام في اليوم الذي يتم فيه الزواج، وفي ذلك اليوم يتجمع الأصدقاء والأقرباء فيقوم الزوج بعدها بالصلاة في محضرهم ، ثم ينصرف ليلتحق بالزوجة في بيتها »[63].

وصف لنا الرحالة الإسكتلندي "وليام ليتجو" (William Lithjo) الليلة الثانية من حفل الزواج قائلا:« والليلة الثانية في حصة لنساء العائلتين، حيث يتجمعن لإقامة الأفراح، كما تقام مأدبة ثالثة في اليوم السابع وتكون المصاريف على حساب والد العروسة، والذي يرسل المأكولات إلى بيت صهره

الجديد، وفي صبيحة اليوم التالي يخرج العريس من الدار التي خلا فيها بزوجته منذ اليوم الأول من الزفاف، ويذهب إلى السوق ويشتري سَمّكًا ويأتي به إلى الدار متفائلا به خيرًا، وهذه عادة قديمة لا تزال سارية في أغلب مناطق الشمال الإفريقي(...) وفي كل هذه الإجتماعات يظل الرجال والنساء منفصلين بعضهم عن بعض من حيث الموسيقى والرقص والطرب(...)»[64].

من جهة أخرى يذكر(Chaler) بعض الشروط التي تؤخذ بعين الإعتبار في عقود الزواج كثروة المرأة مثلا حيث يقول :« والقاعدة المتبعة في العقد هي التي يشير إليها المسلمون في كل مكان، ولكن طابع الحكومة وأوضاع الطبقات الراقية التي ظهرت في ظل هذه الحكومة، قد أدت إلى ثورة في صالح المرأة (...)و يحتوي عقد الزواج عادة على شروط قدر المساواة مع الرجل الذي يتزوجها وعلى الأقل تحميها من معاملة تعسفية للزوج(...) و الواقع أن المرأة العربية لا ترزح في قيود زوجها، أكثر ما ترزح تحت ثقل العادات والتقاليد الموروثة»[65].

أعتقد أن القنصل "شالر" بالغ بشكل كبيرفي تفسيره لعقد الزواج والرابطة الزوجية، فالمسلم يعرف واجبته وحقوقه من خلال الشرع الإسلامي في باب الزواج.

4. **<u>عادات الطلاق والمأتم :</u>**

إن عادات الطلاق والماتم جزء لايتجزء من حياتنا الإجتماعية يقول الله تعالى :﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.﴾ **66**، يحدثنا "جون وولف"(Jaune Wolf) نقلا عن أحد الأسرى الأجانب في الجزائر قائلا:«أن رباط الزوجية يمكن

حله بسهولة إذا قرر الزوجين أنه لم يعد رباطا مفيدا، فالرجل يمكنه التخلص من المرأة السيئة (...) وأن يتزوج بأية إمرأة يرغب فيها.» 67 أما "تيدينا"(Tidina) فيشير في مذكراته إلى أنه من الأعراف السائدة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني أن على الزوج أن يعتني بزوجته وأن لا يقصر في واجباته نحوها، وإذا قصر في ذلك يكون بإستطاعة أي إمرأة الذهاب إلى القاضي وتفسخ ذلك الرباط، إن هذه العادة كانت شائعة جدا وحيث أنه بعد الطلاق يأخذ الأب الذكور من أبنائه و تأخذ الأم البنات[68].

وعن طبيعة العلاقة والمعاملة بين الزواجين يشير "سيمون بفايفر"في مذكراته «إلى أن النساء كثيرا ما يشتكي من معاملة أزوجهن لهن، ولكن لا يستطعن تغيير هذا الواقع،لأن الرجال يتمسكون بهذا الحق ويرفضون التخلي عنه»[69]، وقد تدفع هاته المعاملة المرأة للإنتقام من الرجل أو الفرار منه، وربما كانت كثرة الطلاق من أهم أسباب وجود عدد كبير من البغايا خاصة في مدينة الجزائر، وفي وثيقة حول دور الجماعة في الريف خاصة بالطلاق ورد عبارة « ومن طلق زوجته ثم ردها فعليه خمس رياسات»[70]هذا ما يشير إلى وجود عادة إرجاع الزوجة بعد تدخل الوسطاء وأهل الصلح، لكن الكتابات الأجنبية التي إطلعنا عليها في إطار تحضير الموضوع لم تشر إلى هذه النقطة. لكن الشرع بين كيفية إرجاع المرأة الى بيت الزوجية بعد الطلاق قوله تعالى:﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[71].

أما بالنسبة لعادات الجزائريين في المناسبات الجزائرية خاصة الوفاة، فيقول الله تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[72] لهذا تقام الجنازة والعزّاء للأهل المتوفي،يقول"قراماي"(Gramaye) في هذا الصدد«(...) إذا

مات الشخص المريض، تغسل الجثة بالماء الساخن والصابون، ثم يلبسنها ويحملنها مع وثيقة[73] من القائد، والرأس متوفي إلى الأمام لتدفن، وإذا كانت الوفاة في يوم الجمعة فإنه يصلى عليها أثناء وقت الصلاة في المسجد، وبعدها يرافق معظم المصليين الجثة إلى المقبرة وهم يتلون سُوَرٌ من القرآن، ويمشون بسرعة، حتى لا يتعطل ملك العدل وربما في إستقبال روح الميت»[74] أعتقد أن إكرام الميت هو دفنه، لذاك نعجل بالدفن، حيث روى الإمام الترميذي عن عليٍّ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« ثلاثا يا علي لا تؤخرها الصلاة إذا دخل وقتها والجنازة إذا حضرت، والأيِّمُ إذا وجدت كفؤاً»[75]. ونسرع بالدفن حتى لا تتفسخ الجثة، في الطقس الحار، وتهدأ النفوس بتقبل التعازي. كما وصف الأمير الفرنسي"لومبار"(Lambert) طقوس الدفن عند الجزائريين فقال:«أنه لما يتوفى المسلم يقوم أهله بغسله وكفنه ، ثم يوضع على الجثة حايك وإحاطته بحزام على مدار كليته، وعند إقتراب صلاة الظهر يحمل الميت في تابوت على أكتاف أربعة رجال وتسير الجنازة في قافلة من الأشخاص مشيا على الأقدام بخطى متوازية، وكانت النساء تمشين خلف الرجال ويمنعن من البكاء والعويل. كما تتجه الجنازة إلى المسجد وبعد إتمام صلاة الظهر يعلن الإمام صلاة الجنازة على المصليين وبعد ذلك تسلك الجنازة طريقها إلى المقبرة لدفن الميت في قبر ذو الشكل المستطيل، ويوضع الميت على وجهته اليمنى ورأسه نحو القبلة ويده اليمنى عند أذنه اليمنى التي يرقد عليها، ثم يُوَارَي عليه التراب، وبعدها يعين القبر بأحجار عند رأس الميت وقدميه ولا يوجد عند القبر كتابة تدل على إسمه وتاريخ وفاته، كما لا يمكن تمييزه عن بقية القبور(...)»[76].

كما وصف "شلوصر"(Chloser) تقاليد الدفن في بيلك الشرق فقال: «وللمسلمين تقاليد معينة في دفن الموتى، وذبح الماشية، لا تتم مثل هذه

العمليات بدونها، فهم لا يتركون الميت في بيوتهم أكثر من ليلة واحدة، فيغسل في اليوم التالي، ويُلبس قميصا وسروالا و قلنسوة وعمامة، كلها من اللون الأبيض ثم يلف في كفن أبيض ويوضع فوق نعشه كما توضع مخدة تحت رأسه، ويغطى النعش بغطاء أبيض، لا يستعملون التابوت ويحمل النعش بالتناوب ثمانية رجال، ورأسه إلى الأمام، وعند القبر ينزل عن النعش، ويوضع في الحفرة(...)، ويده اليمنى تحت رأسه واليسرى ممتدة إلى جانبه وتسحب رجلاه ووجهه نحوى الشرق »[77]، أما "سبنسر" فقد أشار إلى العادات المتبعة بعد إجراء الدفن والحُزْنُ على الميت حيث قال:« وكانت فترة الصباح تخصص للنساء اللواتي كان مطلوبا منهن أن يقضين وقتا من ثمانية أيام الموالية حول القبر، ليتذكرن الخصائص الحسنة للميت(...)، إن أفراد البيت الذكور كان عليهم أن لا يحلقوا لمدة ثلاثة أيام بعد الجنازة ولا يسمح بإيقاد النار داخل بيوتهم ولا بأي شيء يَغْلِي، وتلبس النساء السواد خلال تلك الفترة بالذات، وبعدها يتحللن من هذه العادة، ما عدا أرملة الرجل المتوفى ذي المكانة الاجتماعية، فإنها تخلع خواتمها لتضع قطعة من القماش البيض وتلبس عن قصد ثياب قديمة، وكانت النساء الأرامل يُعْتَبَرْنَ في فترة حزن لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام [78]، بعدها يذهبن إلى حافة البحر حاملات حقائب صغيرة من الأمشاط والبيض الغير مطبوخ، فيعطين البيض لأول مَارٍبهنّ والذي لا يستطيع الرفض، وهذا العمل يحللهن من محنتهن، فيستطعن الزواج من جديد»[79].

5. عادة إرتياد الحمامات والمقاهي وتقاليدهما:

من العادات التي أبهرت الأجانب هي حادث إرتياد الحمام، حيث أنهم توسعوا في وصفها، وحسب" كورين شوفاليه" أن كلمة حمام تعني بالإسبانية سّجن (بانيو)، حيث في بداية العهد العثماني كان العبيد يسجنون في

الحمامات خلال فترة الليل، وبعد أن تزايد عددهم بنيت لهم عمارات خاصة بهم عرفت بإسم السجن[80].

ويذكر"وليام سبنسر"« كان للحمامات في مدينة الجزائرأغراض إجتماعية هامة زيادة عن عملها التنظيفي، حيث كان الحمام هو المكان الذي يلتقي فيه النساء ببعض هنّ البعض ، وقد كان عدد حمامات آنذاك حوالي ستون حمام أيام "هايدو"، وكانت بنايتها واسعة ونظيفة مضاءة من السقف ومجهزة بالماء البارد والساخن حيث يدفع المستحم أجره **أوقيتين***إثنين، ثم يضع ثيابه في غرفة خارجية واسعة، ومنها يمر إلى الحجرة عريضة وقد قسمت إلى مكعبات تتسع كل منها لأشخاص يتراوح عددهم بين عشرة إلى أثنى عشرة ، ويمر المستحم عبر بخار حرارته تزداد شيئا فشيئا، حتى يصل ما يسمى "بالسيكاك أوداسي"(Sicakodosi)، وهناك يتمدد على أرائك من القطيفة، تغمرها سحابات من البخار الساخن المعبأ بالرائحة الزكية (...) وبعد استراحة في هذه الوضعية الباعثة للنوم ولعدة دقائق يظهر اثنين من الهزميتسز(Hizmetcis)[81] أقوياء يقومان بتدليك وبعدها يعود المستحم إلى غرفة الملابس على الطريق الذي دخل منهن كي يتناول كوب من عصير الليمون أو البرتقال، وبعد أن يبخ عليه عون ثالث ماء الزهر، يلبس ثيابه ثم يغادر المكان(...)»[82].

ويضيف «ولقد كانت حمامات النساء تشبه حمامات الرجال، ولكن الإجراءات كانت أكثر طراوة، والزبائن كان أمامهن وقت أكثر(...)، فبعد أن تنجز السيدات مختلف مراحل البخار في الحمام ذاته يقوم الخدم بغسلهن من الرأس إلى القدم مستعملين ماء الزهر ويبخون عليهن بالمسك والعطور، وبعددها يصبغن حواجبهن ثم يلبسن ثيابهن التي تكون قد علقت من البداية في معالق تحتوي على أريج عود (اَلْقُمَارْ) المشتعل وتنتظرهن في غرفة الملابس

ليس فقط (الشربات) ولكن الفاكهة و الجوز والحلويات أخرى تشمل الحلوة المفضلة لدى الترك حلوة الحلقوم (Lukum)، ونوع من حلوة أصابع العروس كما تقوم المؤسسة أيضا بتهيئة جو موسيقي وتحضير فتيات للرقص، وفي هذا الجو البهيج تقضي السيدات الجزائريات يوما من أيام الأسبوع.»[83]، وحسب "وليام شالر" فإن الحمامات العمومية في مدينة الجزائر تشبه حمامات مدينة قسطنطينية(ISTANBOUL)، وحمامات القاهرة وغيرها من مدن الشرق وهي كثيرة في الجزائر ويحتفظ بها بعناية والإقبال عليها من الجمهور كبير.[84]

كما أعجب الأجانب بالمقاهي في الجزائر العثمانية وبالعادات الممارسة فيها، فكانت المقاهي أحد أهم الأماكن التي يسهل فيها الاحتكاك بالمجتمع وبالتالي التواصل والتعرف عليه، وهو الأمر الذي كان يشكل الشغل الشاغل للأجانب المتواجدين في الجزائر، حتى الرحالة الأوربيين أصبحوا ينصحون المسافرين للجزائر بزيارة المقاهي العربية، والتي أعتبرت مكان يلتقي فيه المعارف لشرب القهوة والتمتع بنغمات الموسيقى الأندلسية وعرض مسرحي لعرائس القرقوز في كثير من الأحيان، وبالتالي الترفيه عن النفس وحد السأم (...)، يرتاد على المقاهي، الحضر والأتراك و العناصر الزنجية والعناصر البرانية حتى سكان الفحوص من أهل الريف (...)، فكانت تُقدم القهوة للزوار من طرف " القهواجي" في فناجين مزخرفة فوق صحون من الصفيح، ويوضع فيها مسحوق من السكر، وعادة ما كان الفرد الجزائري يتمتع بشرب القهوة(...).[85]

كما تحدث "كارل رفتيليوس" (Carle Réftileuse) وهو أول سكرتير قنصلية السويد أنشأت بمدينة الجزائر سنة 1730م بعد توقيع معاهدة السلام والتجارة والصداقة عام 1729م بين السويد والجزائر، تحدث عن عادة إرتياد المقاهي في مجتمع الجزائر العثمانية وعادات أخرى في كتابه "وصف تاريخي وسياسي لمملكة ومدينة الجزائر(1516م-1732م) فقال : « أما

المقاهي في الجزائر فهي موجودة بكثرة تزيد عن اللزوم ولكن من النادر وجود مقهى نظيفا يستهوي الزائر للجلوس فيه بإنبساط وسرور، هذا لا يمنع من أن هذه المقاهي تكون دائما مكتظة بالرّواد الذين يقضون فيها قسم من النهار، والبّن الذي يستخرج منه القهوة والذي بدأ ينتشر في أوربا الآن (حوالي 1730م) يطبخ في الجزائر بكثرة ويستورد من ولاية اليّمن التي تبعد عن الجزائر بثمانية أيام سفر»[86]

7- عادات وتقاليد ذات طابع اقتصادي : حسب "فاغنير" إن أسواق مدينة الجزائر مقارنة بأسواق القسطنطينية كانت فقيرة ، وهي عبارة عن دور تشبه دور العربية، مع فارق واحد وهو أن جانبي الفِنَاءَ يحتويان على حجرات، الواحدة منفصلة عن الأخرى، ولكل سوق طابقان أو ثلاثة طوابق، وغرف كثيرة(...)، و العادة المتبعة منذ القديم في الجزائر هي أن الأجنبي أو اليهودي يكتري في السوق محلا أو عدة محلات بمجرد حصوله على رخصة بذلك، ويعرض في أبوابها بضاعته (...)، أما دكاكين التجار من الأهالي فهي تقع خارج هذه الأسواق، إنها صغيرة تافهة، فليس فيها تنوع في البضائع، ولا تلفت الأنظار إلا بشكلها الغريب، هذه الدكاكين عبارة عن ثقوب مربعة، تغلق في الليل (...)، لا نستثني منها إلا الدكاكين الموجودة في شارع الديوان، لأن بضاعتها متنوعة ومنظمة بصورة تدل على ذوق أصحابها، وهم في الغالب من الكراغلة ، كما أن بضاعتها على العموم من المصنوعات المطرزة بالذهب مثل المحافظ وأدوات الزينة الخاصة بالأسلحة، والعطور والمصنوعات القطنية المحلية، وأكياس الصيد، وغيرها[87].

ومن بين العادات والأنشطة الاقتصادية التي عرفها الجزائريون نجد عادة الصيد وتربية الخيول والنحل، وقد أعجب بها الأجانب، "ديماس" (Daumas) يتحدث عن حب الجزائريين للصيد وأنهم يحرصون على تربية

أبنائهم على هاته العادة لتحقيق مآرب دينية ودنيوية ، ففي الجانب الديني هو أمر بتعليم الرماية، وتعليم فنون الحرب، وفي الجانب الدنيوي فإن الصيد يروِّح عن النفس.[88]

كما إعتنى المجتمع الجزائري بتربية الخيول بل كان حبهم لها شديدا حتى أن "ديماس" قال أن حب الخيل في دم العربي، وأنه لا يفرِّط أبدًا في سلاحه وفرسه[89]، وهذا ما ذهب إليه "حمدان خوجة " في وصفه لسكان السهول وطبائعهم حيث قال: «أنهم يحبون الخيّول حبا شديدا ويجعلونها في مكانة خاصة إلى درجة أنهم يقدمون لها حليب **النّوق***»[90].

أما "فنتور ذي باردي"(Venture de Paradis) يسرد لنا بعض العادات الليلية في مدينة الجزائر حيث يقول:« كانت الشرطة المعتمدة بالجزائر العاصمة تمنع خروج الأهالي بعد ساعة ونصف من غروب الشمس، وهي الفترة المسماة بصلاة العشاء(...)، و كل من يصادف ليلا بعد هذه الساعة يقبض عليه، ما عدا أولئك الذين يحملون فانوسا كالأطباء والجراحين وبعض من أهالي المدينة المعروفين(...)،أو أوروبيين فلهم الحرية المطلقة في التجوال ليلا، مزودين بفانوس يستغلونه للقاءات والتجمعات وحدهم(...)، كما ترفع على رؤوس صوامع المساجد نصب على رأسها علم أبيض صغير(...)، وينزل العلم بعد الأذان، ليرفع من جديد منتصف النهار، و يرفع علم أخضر يوم الجمعة، وتلك عادة معهودة بالجزائر على الساعة الواحدة والنصف زوالا، كما تقرع العصي في بيت الداي إدانا بدعوة الأوربيين للحضور من أجل إبرام أية صفقات معهم (...)»[91] أما الأب "دان" ينقل لنا ظاهرة إنتشار الخرافات وخلطها بالدين، والتي عابها على شعوب شمال إفريقيا، بالرغم من مدحهم في مواضيع أخرى إذ يقول:« ولعل أسوء ما لاحظته لدى شعوب البربرية هو ذلك الإعتقاد بالخرافات و الشعوذة التي تغمر عقولهم، والتي إبتدعوها، فإعتبارها

ضمن أحكام الشريعة الإسلامية، وهي معتقدات تعتمد على كثير من التصرفات الشاذة و الزندّقة والكفر لدرجة إحساسهم بالسعادة والتضحية بأرواحهم من أجلها ، تلك خصائص تُمّيز مدنًا بممالك الجزائر، تونس، وطرابلس، والتي تعد من أبرز مناطق بلاد البربر إلى جانب مملكتي المغرب سلا وفاس»[92].

أما "تيدنا" فهو يتحدث عن عادة الجلوس في الطرقات والسمر على حوافها فيقول: « لقد كان يسعدني كثيرا أن أكون وسط حلقات وتجمعات من الناس، فيها أنهم لا يعرفون إستعمال الكراسي، فإنهم يجلسون حيثما تلاقوا ولو كان ذلك وسط الطرقات، هنا يتسامرون (...)وهم يدخنون غليونهم و يمررونه من أحدهم إلى الآخر ولا حديث لهم إلا حول خيولهم.»[93]

تحدث "كارل رفتيليوس"(CarleRéftileuse) عن ظاهرتي الحانات والفنادق التي عرفها مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، وسجل بعض الملاحظات التالية :

1. تجيز الحكومة إقامة المخمرات العامة لكن خارج أسوار المدينة، ويتمتع بهذا الإمتياز أسرى القرصنة الأوربيين (العبيد).
2. المخمرات غالبا ما تكون في محلات بسيطة جدا شبيهة بالمغارات أو مخازن بسيطة وتختلف الخمارات في الكبر و الصغر حسب حاجيات الإستعمال التي يقدرها صاحبها، وتشترك الحانات كلها في عدم النظافة ، كما تحتوي على أَسِرَةُ ومناضد للنزلاء المعوزين .
3. المخمرات في الجزائر نادرة نسبيا لأن الناس في كل مكان يشربون الماء عادة ولا يعرفون شيئا عن عصير الشعير أو عصير العنب[94]

4. الفنـادق العصـرية لا وجـود لهـا في مدينـة الجزائـر، والمسـافرون يستعملون في تنقلهم الحمار أو الخيل، كما يمتط الجزائريون ركوب السفن للوصول إلى الأماكن التي يمكن وصولها عن طريق المياه.
5. المسـافرون الأجانـب يقيمـون عنـد أقـاربهم أو أصـدقائهم الأوربيـين أو ينزلـون في قنصـليات بلـدهم أيـن يقيمـون ويقـدم لهـم الأكـل، أمـا الأوربيـين الـذين لا مكـان لهـم في القنصـليات، يقيمـون عنـد اليهـود تؤجّر لهـم غرفـا مفروشـة في ديارهم ويتحمل اليهودي كل المسؤولية إذا تعـرض نـزلاؤهم إلى مكـروه، وهنـا تجـدر الملاحظـة أنـه يجـوز لأي شخص سـواء كان أجنبيا أو من الغربـاء من صعوبة أن يستأجر دارا بأكملها إلا إذا سجل رغبته عند إدارة الداي.
6. أمـا المسـافرين المعـوزين الـذين لا أقـارب لهـم و لا أهـل، فـإنهم مجبـورون على الإقامـة في الحانـات، أما في بقيـة أغلـب مـدن وقـرى الجزائـر فتوجـد عـادة دور الضـيافة تسـمى "خـان" شّـيدت خصيصـا لإيـواء الفقـراء والغربـاء الوافـدين على البلـدة، ويشـرف على الـدار مدير يسـمى "محـرك"، وهـو الـذي بعـد إذن حـاكم المنطقـة يسـتقبل الوافـدين ويقـدم لهـم الخدمات،وإقامـة الضـيوف في هـذا الـدور لا يجوز أن تتعدى ليلة واحدة[95]

الخاتمة:

وعليـه إذا تمعنـا في عـادات مدينـة الجزائـر و أحوزهـا كانـت في الغالـب موحـدة تقـوم على توجيهـات أصحاب الطرق الصـوفية، ومتأثرة بما كان يجـري في الأنـدلس أو حواضـر المشـرق الإسـلامي، ومـا جلبـه الأتـراك العثمـانيين معهـم من عادات وتقاليد، كما لاحظنا من خلال هذا

البحث أن معظم الكتابات حول العادات والتقاليد إستقيناها من كُتَابٌ، مؤرخين، رحالة أجانب، قناصل أو من مذكرات الأسرى الأوربيين، بالرغم من محاولتنا البحث عن مصادر لِكُتَاِب محليين حول موضوع العادات والتقاليد فلم نجد سوى بعض الومضات في كتاب "المرآة"لحمدان خوجة أو كتاب"مذكرات" لأحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف.

إن هذه المادة المعرفية الأجنبية الغزيرة تستحق الإهتمام والدراسة والتمحيص فيها، قبل أن نقدم عليها حُكما حتى ولو كتبت بخلفية سياسية أو دينية فإنها تحمل في طياتها بعض الحقائق القّيمة تاريخيا.

لا شك أن العثمانيين أثروا في الحياة الإجتماعية والإقتصادية للجزائريين، ولقد لمسنا هذا التأثير من خلال الكتابات الأجنبية الذين وصفوا محاولات العثمانيين ربط مجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي من خلال العادات والتقاليد التي جلبوها معهم في المأكل والملبس والألقاب، كما أدخل العثمانيون المذهب الحنفي، وجلبوا معهم بعض الطرق الصوفية لم تكن معروفة أو منتشرة بين السكان، كما أثّر العثمانيون في العمارة كالمساجد والأضرحة والمنشآت العسكرية كالحصون والأبراج.

لا يمكن أن نستثني من حيث التأثير في الحياة العامة اليومية الجالية الأوربية الممثلة في اليهود والمسيحيين وان كانت بنسبة لا ترقى من حيث الفاعلية والدرجة تأثير العثمانيين والأندلسيين، فحالة الحرب التي شاهدتها السواحل الجزائرية جلبت معها نشاطا أوروبيا بحريا وتجاريا وخاصة المدن الكبرى كالمحروسة (مدينة الجزائر)، رغم سلبياتها إلا أنها عامل تأثير وتأثر قوي، ووسيلة إتصال وتعارف.

وبالرغم مجموع المؤثرات الخارجية بقيت الجزائر بأهلها محافظة على عادتها وتقاليدها وقيمها الخاصة العربية الأمازيغية، حيث لعب فيه الدين واللغة دورا أساسيا في تشكيل ملامح مجتمع موحد بقواسمه المشتركة .

كما لاحظنا أن معظم الدراسات ركزت على مدينة الجزائر ليس فقط في العادات والتقاليد ولكن تجاوزت إلى مجالات أخرى سياسية، إقتصادية و إجتماعية.

الهوامش:

* يوسف محمد عبد الله، تعريف التراث (أنواعه والحفاظ عليه) رئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات، جامعة صنعاء، اليمن، (د.ت)، ص3 (منقول من الموقع الإلكتروني www.yemen-nic.info بتاريخ 2015/01/10

- ما ذكره شالر أن الشعب الجزائري خلال عهد العثماني لا يستهلك السكان إلا القليل من اللحم، أعتقد أن كلامه مبالغ فيه، فكل فرد يستهلك هذه المادة العدائية حسب استطاعته ودخوله المادي،كما تعتبر الأبقار مصدر لأغذية صناعية لمشتقات الألبان لدى يقل ذبح الأبقار واستهلاكها.

1. وليام شال، قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)،تقديم إسماعيل العربي، الشركة للنشر والتوزيع، الجزائر ،1982، ص87.
2. وليام شالر، المصدر السابق، ص.ص 87-88 .

- الماء القَرَّاح: الماءُ الذي لا يُخالِطه ثُفْلٌ من سَويق ولا غيره، وهو الماءُ الذي يُشْرَبُ إِثْر الطعام؛ قال جرير:

تُعَلِّلُ، وهي ساغِبةٌ، بَنِيها بأَنْفاسٍ من الشَّبِمِ القَرَاحُ، أنظر إبن منظورلسان العرب، دار صادر، ج 4، (د.ط) بيروت ، لبنان ،1988، ص 315

3. وليام شالر، المصدر السابق، ص88.

4. سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تعريب وتقديمأبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر،1974، ص.ص: 145-146.
5. جيمس لندرا كاثكارت،مذكرات أسير الداي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر، 1982، ص.ص 72-74.
6. السُّلْطَانِيَّة: وعاءٌ من الخزف ونحوه يؤْكل فيه الطعام، أنظر معجم المعاني الجامعwww.almaany.comبتاريخ 2015/01/10.
7. جيمس لندرا كاتيكارا، المصدر السابق ص74.
8. هاينريش فون مالتسان، ثلاثة سنوات في شمال غرب إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، ج3،الجزائر، 1976، ص59 .
9. وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المصدر السابق، ص 83.المزيد انظر أيضا ، لباس البدن عند الرجال بمدينة الجزائر في العهد العثماني، عائشة حنفي، حوليات المتحف الوطني الآثار القديمة، ع 09، الجزائر، 2000 ص.ص 47-71.
10. بنعتو بلبروات، نظرات إستشراقية لعادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، لجامعة سيدي بلعباس، العدد 2، الجزائر، مارس2010، ص.ص81-92.
11. De Tassy, (L), Histoire du royaume d'Alger, édit, loysel, Paris, 1992, P59
12. قَلَنْسُوةٌ :لباس للرأس مختلف أنواع والأشكال، من معجم المعاني الجامع – معجم عربي، عربي- ويعبر عنها أيضا بالقبعة أو الطاقية، وهناك ما يشبه القبعة توضع على الرأس تدعى الكوزية"عبارة أن شريط عريض وطويل لدرجة أننا نستطيع أن نلف به الرأس خمس أو ستة مرات وهو بمثابة العمامة" أنظر عائشة حنفي، لباس البذن عند الرجال بمدينة الجزائر في العهد العثماني، حوليات المتحف الوطني للأثار القديمة، العدد 09، الجزائر، 2000، ص 48.

13. بَدْعِيَتَيْنِ:مثنى بَدْعَيَةُ«وهي نوع من أنواع الصدريات .تغلق من الأعلى إلى الأسفل بأزراركانت تلبس من طرف الحكام والأغنياء، تصنع من قماش الجوخ(نسيج من الصوف)، مطرزة بخيوط ذهبية أو فضية»المرجع السابق ص59 .
14. اَلْقْطِيفَةُ:نوع من نسيج الحرير أو القطن تأخذ منه الثياب والفرش، وبصنع منه القفطان اللباس الفاخر، نفسه، ص61.
15. وليام سبنسر، المرجع السابق، ص86.
16. نفسه، ص89.
17. وليام شالر، المرجع السابق، ص85.
18. نفسه، ص83.
19. وليام سبنسر، الجزائر في عهد الرياس... نفس المصدر السابق ص87.
20. Rozet (M),Voyage dans la régence d'Alger, édit, Arthus Bertrand libraire,T^{2}, Paris, 1833, P 293**20**

* حسب معرفتي المتواضعة أن هذه الأحياء تدعى اليوم بالغيتوهات، حيث هناك تتم المعاملات الخاصة بهم. والقصد من إقامة هذه الأحياء هو الإحتفاظ بشخصيتهم المستقلة عن بقية السكان.

21. كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص67 .
22. De Tassy, (L), Op. Cit, P :57
23. وليام سبنسر، نفس المرجع السابق ص 84 .
24. فوزي سعد الله، اليهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة، الجزائر، 1996، ص.ص 135-136
25. Shaw(T), Voyage dans la régence d'Alger, Trad., de l'anglais par j, Mac Cathy, 2éd, Paris, 1927, P : 193
26. وليام سبنسر، الجزائر في عهد الرياس... المرجع السابق ص.ص 89-90.
27. أعتقد ما ذكره سبنسر غير صحيح، لأن الحجاب فرض على المسلمات منذ صدر الإسلام بقوله تعالى:إقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ

وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.سورة النور، الآية31.

28. نفس المرجع، ص 28.
29. وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المرجع السابق، ص.ص 85-86.
30. شوفاليه كوين، الثلاثون السنة الأولى...المرجع السابق ص 72.
31. الأورثودوكسية، هو مذهب من المذاهب المسيحية تزعمته الكنيسة الشرقية بعاصمتها القسطنطينية بقيادة الإمبراطور جوستينيان 553م (طالع الموقع الإلكتروني www.wikipedia.org بتاريخ 2014/10/10.
32. جون وولف، الجزائر وأوربا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص147.
33. Haedo, (F.D.E), Topographié et histoire d'Alger, Tard, de l'espagnole par Berbrugger(A),et Monnerau, in R.A, n° 15 Année 1870-1871 P: 39
34. شوفاليه كورين، المرجع السابق ص74.
35. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج1، ص.ص 183-184 .
36. نفسه، ص184.
37. فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ش.و.ن. ت، الجزائر، 1980، ص.ص 83-84.

* أشير إلى أن المصادر التي إطلعت عليها و التي سقطت بين أيدينا في هذا المجال كانت لمختلف الرحالة والقناصلة والأجانب والأسرى الذين سجلوا يومياتهم بالجزائر، ولم أعثر بالرغم من مجهوديالمتواضع في البحث على مصادر المحلية التي تتناول الموضوع ، فإن وجدت فهي شحيحة للغاية .

38. أبو العيد دودو،الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان،(1830- 1855)، م. و. ك، الجزائر، 1989، ص.ص 114-115.

39. المرجع السابق، ص 119.

- القرقوز: قره قوز وتعني دمى صغيرة من الورق المقوى أو الخشب الرقيقين يحركها إنسان مختفٍ وينطق بما تقول فُتُرى كأنها تتحرك وتتكلم، وتسمى أيضا"كركوز" أو دمى متحركة. من معجم المعاني الجامع عربي- عربي من موقع الإلكتروني http://www.almaany.com بتاريخ 2015/10/21

40. هاينريش فون مالتسان، ثلاثة سنوات في شمال غرب إفريقيا،ج3 ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.و، الجزائر، 1976، ص66.

41. أبوا لقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ... المرجع السابق، ص.ص 155-157.

42. Daumas,(E), mœurs et coutumes de l'Algérie, Edi, A .N .E.P, Alger, p.p. 81-82

43. هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص 66.

44. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان...، المرجع السابق، ص118.

45. وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المرجع السابق ص67.

- جَامِعْاَلْحَوَتِّينْ: وهو جامع مسجد الجديد، سُمي بهذا الاسم لقربه إلى الميناء، بُني في عهد مصطفى باشا سنة 1660م على الطراز العثماني أخذ من الهندسة البيزنطية، وبني المسجد في مقام زاوية سيدي عبد الله. المزيد انظر الموقع الإلكتروني www.4algeria.com بتاريخ 2015/01/10.

46. وليام سبنسر،الجزائر في عهد الرياس... المرجع السابق ص.ص118-119.

47. جيمس لندركائكارت، المرجع السابق ص32.

48. فندلين شلوصر، المرجع السابق، ص.ص 85-86.

* بوجو:(*bŭgŭ réal*) عملة قديمة لمدينة الجزائر ما تعدل1فرنك و60 سنتم قديم، أنظر:

Mohamed Benchnab, mots Turks et persans conservés dans le parles algérien, ancienne maison rastide, Jourdan, jules Carsonel, Alger, 1929 P 24

49. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان...، نفس المرجع السابق، ص123.
50. أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق ، ص.ص 71-82.
51. فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي...، المصدر السابق، ص 86.
52. وليم سبنسر، الجزائر في عهد الرياس... المرجع السابق ص89.
53. أبو القاسم سعد الله، أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...،ج1، ص157.
54. De Tassy, (L), Histoire du royaume d'Alger, H, du Sauzet, Amsterdam, 1725, P:93
55. أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف ... المصدر السابق ص.ص 62-65 .
56. - Shuval, (T), La ville d'Alger vers la fin du XVIII siècle (population et cadre urbain), S .N.R.S, édition, Paris, 1998, p : 148

57- Haedo, (F .D.E), Op.cit. P:203

58. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان...، المرجع السابق، ص، ص 119-120.
59. وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المصدر السابق ص 87.
60. وليم سبنسر، الجزائر في عهد الرياس... المرجع السابق ص 97-98 .
61. المرجع السابق ص98.
62. وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المرجع السابق ص98.
63. نقسه ، ص.ص 98-99 .
64. ميشيل آبار،الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة اسكتلندي، ترجمة خنفي بن عيسى، مجلة الثقافة، العدد3 الجزائر،1971، ص 49 .
65. وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المرجع السابق ص.ص 86-87.
66. سورة البقرة، الأية 229.

67. جون وولف، الجزائر وأوربا، المرجع السابق ص170.
68. أحميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدينا نموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص91 .
69. سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية... المصدر السابق، ص176.
70. جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500م-1830م)، م.ح.ط، الجزائر،1987، ص182 .
71. سورة البقرة الآية 230.
72. آل عمران، الآية 185.
73. الوثيقة: لاشك أن هذه الوثيقة يُعَبّرْ عنها في الوقت الحاضر برخصة الدفن.
74. Gramaye,(d.b), Journal de Jean- Baptiste Gramaye « évêque d'Afrique », Trad.par Ben Mansour Abed el-Hadi, sous-titre Alger XVI^{e} –XVII^{e} siècle, cerf, Paris, 1998, P : 113
75. عن بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: يَا عَلِيُّ،ثَلاثٌ لاَ تُؤَخِّرْها: الصَّلاةُ إِذَا دَخَلَ وَقْتُهَا، وَالْجِنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدَتْ كُفْؤًا"أخرجه الترميذي، رقم3299، أنظر لإبن الأثير الجزرى، جامع الصول من أحاديث الرسول-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، دار الإحياء للثرات العربي، ط3، بيروت، ج6، 1983، ص162.
76. بن عتو بلبروات، نظرات استشراقية...، المرجع السابق، ص90.
77. فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي...، المصدر السابق، ص 90.
78. أربعة أشهر وعشرة أيام يقصد بها عدة الزّوج الشّرعية بعد وفاة زوجّها، أنظر الأمام ماالك، الموطأ، رقم 101/1839، دار إبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2005، ص384 .
79. وليم سبنسر، الجزائر في عهد الرياس... المرجع السابق ص 106.
80. شوفاليه كوين،الثلاثون السنة الأولى.... المرجع السابق ص58.

* أُوقِيَتَيْنِ: جمع ،أُوقِيَةٌ وهي وحدة قياس الكيل، مِعْيَارٌ لِلْوَزْنِ يُعَادِلُ 200 غرَامٍ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أجْزَاءِ الرَّطْلِ الإثني عَشْرَ، قِطْعَةٌ نقْدِيَّةٌ يُتَعَامَلُ بِهَا فِي

موريتانيا، أنظر قاموس المعاني في الموقع www.almaany.com بتاريخ 06 /2015/03

81. Hizmetcis: يقصد بها المدلكين، أنظر وليم سبنسر، المرجع السابق، ص94.

82. وليم سبنسر، المرجع السابق، ص95.

83. وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس... المرجع السابق، ص96

84. وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا...، المصدر السابق ص99.

85. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان...، المرجع السابق، ص.ص 112- 114.

86. المازاري بديرة، حياة اللهو وخدمات الخمارات والمقاهي والفنادق في الجزائر في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، مجلةالحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني منشورات م.و.ب.ع، زغوان، تونس، عدد1221، 1988، ص.ص 100-101.

87. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان...، نفس المرجع السابق، ص.ص110- 112.

88. Daumas,(E), Op. Cit, P.P: 56-58.

89. Ibid. P.181.

*النُّوقْ: جمع ناقة وهي أنثى الجمل، حيث يعتبر حليبها أجود وأفيد حليب لصحة الإنسان، طالع فهد بن عبد الرحمان سويدان، من فوائد حليب الإبل، مقال في الموقع الإلكتروني www.alriyadh.com بتاريخ 2014/09/08.

90. حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تعريب محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص38

91. Venture de Paradis, (J.M), Tunis et Alger au XVIII Emme siècle, bib, Arobe Sandbad Paris, 1983 ; p.p. 43- 53.

92. Dan (P), Histoire de la barbarie et ses corsaires, récollet imp. Du Roy, 2Emme édit, Paris, 1937, P.

93. أحميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة... المرجع السابق، ص 92.
94. يرجع قلة وجود الحانات (المخمرات) بمدينة الجزائر إلى تحريم الخمر شرعا وليس كما ذكره"كارل رفتيليوس"سببه عدم معرفة الأهالي بخبايا عصير الشعير والعنب، والدليل إسناد المخمرات للعبيد (الأجانب الأسرى) فقط.
95. المازاري بديرة، حياة اللهو وخدمات الخمارات... المرجع السابق ص.ص 98-102.